

سلوك أمريكا مع السعودية فاضح لأوروبا والأمم المتحدة ومجلس أمنها ورسالة سياسية لكل دولة عربية حليفة لأمريكا وإسرائيل فهل يعتاش المشروع الغربي على المشروع الصهيوني؟



وهل دخل الملك الطاحون.. أم سينتبه للحل الوطني

فؤاد البطاينة

مشهد مستهجن وخطير على أمن الدول والشعوب المستضعفة والنظام الدولي يشهده العالم بصمت أوروبي ودولي، فيه أمريكا الدولة الكبرى والعضوة في مجلس الأمن القيم على السلم والأمن الدوليين وعلى الأمن الجماعي، يتنقل رئيسها من مكان الى آخر وهو يخاطب ملك السعودية الدولة العضوة في الأمم المتحدة عبر الأثير أمام سمع العالم بعبارات التهديد والإبتزاز لدفع المال ليحميه وإلا... والخلفية واهمه.

يخاطبه بلغة أولاد أزقة الماروانا ومواخير الـ "42nd st in the 80s"، خطاب لا تستخدمه إلا عصابات المافيا والارهاب وقطاع الطرق ولكن سرا، والعالم الحر يستمع ويتابع عجز الحاكم السعودي وضعفه وذلك وهو يفاوض على قيمة المطلوب في الوقت الذي يتم فيه تشليحه موارد الشعب واستخدامه لأقذر المهمات للإيقاع بأرض الجزيرة ومقدراتها، ويجري هذا في عصر الأمم المتحدة وخطابات القانون الدولي ومحاربة الإرهاب.

ألا تدرك الدول الغربية بالذات خطورة ما تمارسه دولة بحجم الولايات المتحدة وموقعها ومسئوليتها في النظام الدولي القائم وهي تقوم بنشر الفوضى السياسية وكل ما يطيح بمعايير التعامل الدولي وقواعد القانون الدولي المستقرة وبركائز النظام الدولي . الا تتذكر الدول الخمس الكبرى أنها بررت لنفسها زعامة العالم والعضوية الدائمة بمجلس الأمن والحق الحصري بالاضطلاع بالحفاظ على بالسلم والأمن الدوليين على اساس تعهدها واستعدادها لتحقيق الأمن الجماعي الذي يحمي الدولة الضعيفة وحقوقها من الدولة القوية المارقه كركيزة أساسية في نظام الأمم المتحدة؟ . فكيف تصمت وهي ترى أمريكا تقوض هذا المفهوم الذي أطاح غيا به بعصبة الأمم، ما الذي يجري؟

هل ترى الدول الأوروبية بأن روسيا "غول" يسعى لابتلاعها ولذلك تقايض أمريكا على حمايتها منه مقابل التضحية بالقانون الدولي والسلم والأمن الدوليين وبمفهوم الأمن الجماعي وبكل ما يحمي رتابة ما استقرت عليه الحالة الدولية؟ وإذا كان الأمر كذلك، أليس هذا ما يجر العالم الى خيار من اثنين، فإما الى مفاهيم عهد الامبراطوريات البائدة، وإما الى خيار الحرب الكونية؟، وكلاهما يعود بالبشرية الى مربع انطلاقها الأول، نسأل هنا روسيا والصين وفرنسا وبريطانيا التي تشارك امريكا في احتلال مجلس الأمن عن المبرر لوجود الأمم المتحدة ومجلس أمنها؟

أم ان المسألة وما فيها أن المشروع الصهيوني في الوطن العربي يلتقي مع مشاريعها في الوطن العربي، وكُتب على العرب وقضاياهم أن يكونوا خارج نطاق خطاب ميثاق الأمم المتحدة والمعايير التي تحكم النظام الدولي؟

إن طبيعة تعامل الدول الكبرى مع الدول العربية الحليفة لها تؤكد بأنها لا تقوم على أساس من تبادل المصالح، ولا الإحترام المتبادل، ولا على رغبتها بمساعدتها لتنهض اقتصاديا أو صناعيا أو في بناء قوة كافية للدفاع عن نفسها . بل تعتبرها دولا مستهدفة وتسعى لتخلفها وإشاعة عدم الاستقرار فيها ومحاربة التوجه الديمقراطي لدى شعوبها وسلب ثرواتها واخضاعها .

ولعل عدم تدخل الدول الكبرى في فرض حل الدولتين على ما فيه من تنازل عربي وتكريس للاحتلال وظلم للشعب الفلسطيني، يشكل دلالة واضحة على أن تلك الدول عندما تبنت قيام دولة للصهيونية على حساب شعب عربي ووطنه في فلسطين، إنما كانت مدفوعة وراء مشروع يلتقي مع المشروع الصهيوني في الوطن العربي ويعتاش عليه .

لا شك بأن أمريكا اليوم كنظام، تعتمد سياسة معزولة عن القيم التي قامت عليها الدولة الأمريكية

والمثبتة بدستورها، فتلك القيم ليست موجودة في الواقع الذهني والعملي لها، بل أن الموجود والممارس خارج حدودها قيم أخرى تنافيا وتنافي عملية التطور السليم في السياسة الدولية والديمقراطيات الغربية وتعايش الأمم. وإن هذا التحول ابتداءً وتطور مع اختراق الصهيونية لتلك الدولة، فأمریکا هذه لا تؤمن بالأخر وحقوقه ولا بمفاهيم الديمقراطية والعدالة والمساواة ولا بالقانون الدولي. بل تؤمن بإمبرياليته المتحالفة والمتفقة مع المشروع الصهيوني الذي تبني تنفيذه.

وإن سلوك ترامب يعبر عن جزء من الحقيقة الأمريكية المختبئة في رؤوس رؤسائها السابقين وصناع القرار، وإن كنا نعتبره مجنوناً فذلك لطريقة طرحه لطروحاته وليس لطبيعتها كحكر عليه، لأن طبيعتها ليست سياسته وحده بل سياسة أمريكا كنظام، وبالتالي فإنه يُعبر عن الواقع الأمريكي المخفي بطريقة أنانية يُظهر فيها نفسه لصانع القرار بأنه الحامي لهذا الواقع بجرأة يفتقدها غيره، وللناخب الأمريكي بأنه الأصدق والأسرع في جلب الفرص والمنافع له.

ما يهمنا كعرب، أن سياسة أمريكا هذه تأخذ شكل العملية process فهي (سيروره) لا تهبط مرة واحدة ولا نهاية لها إلا بمواجهتها، وإن نجاح أمريكا في تفرغ سياستها موزعة على العالم سيجعل من الكل في الجتمع الدولي خاسراً بالمحصلة، لكن الخسارة الأكبر ستلحق بالدول غير القادرة على حماية نفسها، ومنها الدول العربية كافة، المرسوم لها أن تصبح مجرد اقطاعات مملوكة بما عليها، تنتقل من مالك لأخر في فترات زمنية متباعدة. أما الدول القادرة على حماية نفسها كالدول الأوروبية ودول أخرى (باستثناء روسيا) فلن تعود مؤثرة في السياسة الدولية ولا قادرة على تحقيق طموحاتها ومشروعاتها القومية والعقدية عبر الحدود، ولا حماية مبادئها أو نشرها، إلا في حال أن حصلت على لقب الإمبراطورية.

الوطن العربي كله في خطر صارخ ومفضوح، وليست الجزيرة العربية وسوريا والعراق وليبيا واليمن إلا حلقات ضمن سيرورة لمخطط ابتداءً بفلسطين. أرض الجزيرة بثرواتها وموقعها وتاريخها مستهدفة اليوم بالاحتلال والتمزيق. ومصر الكنانة على الطريق والأردن دخل الطاحون. ولا تفسير للصمت الأوروبي على سلوك أمريكا الإرهابي الابتزازي الإذلالى للنظام السعودي إلا على خلفية سياسية عميقة مطلوب امتدادها للدول العربية الحليفة الأخرى.

ولا من المنطق أن نصدق بأن هدف أمريكا مجرد المال من السعودية، فأموال السعودية كلها بقبضة أمريكا وبنوكها ولا تساوي في لحظة قرار أمريكي سوى أرقام وهمية تملكها السعودية. ولا يصدق عاقل صدق نوايا الهجمة الأوروبية على نظام السعودية من أجل تصفيته شخص الخاشقجي بينما ترى وتشارك بالقتل الجماعي

لشعبنا من قبل أنظمتنا واسرائيل وتزداد تأييدا ودعما لها .

السلوك الأمريكي والصمت الدولي ازاء السعودية رسالة نافذة على كل أنظمة الدول العربية المتعاونة مع امريكا واسرائيل باستحقاقات مختلفة، والنظرة الأمريكية بسطوتها إزاء النظام السعودي الذي تقزم بشخص واحد هي نفسها النظرة والسطوة إزاء النظام الأردني المحجم بشخص واحد، بعد أن عجز كلا النظامين عن الانقلاب على عقد إيجار الحكم في مستعمرتين، لكن وسيلة الابتزاز للهدف السياسي مختلفة وتتبع الحاجة للدور وخصائص الدولتين المادية والجغرافية والسياسية والسكانية .

لا نريد للملك ولا للأردنيين أن يكونوا على موعد مع مواجهة ما تواجهه السعودية، ولكن بنكهة سياسية خطيرة، ولا نريد للملك أن يلجأ لإقامة علاقة خضوع واستسلام مع امريكا واسرائيل في السر ويُنَفَّذ المطلوب ويعلن لشعبه غير ذلك تهربا من تلك اللحظة ومن مواجهة مصيره، فعلى الملك أن ينتبه بأنه أوهن من النظام السعودي بكثير ويجاريه في عدم الحس بشعبه، ولا يمتلك ذرة من أسباب الرفض والسمود امام امريكا أو اسرائيل، إلا أنه سيكون أقوى حاكم عربي إن عاد وتحالف مع شعبه الأردني - الفلسطيني صاحب القضية المباشر.

بمثل هذا التحالف لن تستطيع عليه أمريكا وغير أمريكا . فالقوة الغاشمة تستطيع أن تدمر مقدرات دولة وتكسر جيشها، ولكنها لا تستطيع احتلال بلد أو تغيير نظام وكسر ارادته حين يقف شعبه معه، وإن الحل الوطني بانقلاب الملك على أمريكا واسرائيل قبل فوات الآوان سيقرب طاولة التآمر الكبير على أصحابها .

كاتب وباحث عربي